مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 12، عدد رقم: 01، مارس 2023، صص: 137 - 154
تاريخ الاستلام(2022/07/10)تاريخ القبول (2023/02/18)تاريخ النشر (2023/03/30)

سيميائية العنوان والغلاف في ديوان "قد مسني الضر" لمحمد مبسوط

The Title Semiotics and the Cover in the Book "Verily Distress Has Seized Me"by Mouhamed Mabsout

الدراجي شطي[1]، خديجة الشامخة[2]

[1] جامعة غرداية (الجزائر)، chetti.derradji@univ-ghardaia.dz

[2] جامعة غرداية(الجزائر)، khadidjachamkha@gmail.com

ملخص:

شكل العنوان والغلاف ظاهرة جمالية وفنية في ديوان محمد مبسوط" قد مسني الضر" لما لهما من جاذبية سواء من حيث الاختيار أو التركيب، وقد شغلت هاتان العتبتان حيزا كبيرا في مجال البحث السيميائي باعتبارهما علامتين مهمتين في تحديد النص الأدبي ووضع معالمه، ومنه تهدف هذه الدراسة إلى سبر أغوار العنوان والغلاف في هذا الديوان والوقوف على أهم العلامات الفارقة والسمات الدلالية لهاتين العتبتين، معتمدة في ذلك على آليات المنهج السميائي باعتباره منهجا ناجعا في دراسة العلامة اللغوية وغير اللغوية.ولقد جاءت هذه الدراسة منطلقة من إشكالية نصها: ما هي العلامات الفارقةوالسمات الدلالية التي تميز ثنائية العنوان والغلاف في ديوان "قد مسني الضر"؟ وما مدى التناغم الدلالي بين هاتين العتبتين في الديوان؟ ما تأثير عنوان وغلاف ديوان "قد مسّني الضرّ" في متلقيه؟وإلى أيّ حد يعبران عن متن الديوان؟

كلمات مفتاحية: السيميائية؛ العتبة؛العنوان؛ الغلاف؛ العلامة؛ محمد مبسوط.

المؤلف المرسل:الدراجي شطي، الإيميل:chetti.derradji@univ-ghardaia.dz

Summary:

The title and the cover have formed an aesthetic and artistic phenomenon in Muhammad Mabsut's collection of poems "Truly distress has seized me" because of their attractiveness both in terms of choice or composition. These two thresholds have occupied a large part in the field of semiotic research as important signs in determining the literary text and setting its features. This study aims to explore the depths of the title and cover in this collection of poems and to identify the most important distinguishing signs and semantic features of these thresholds, relying on the mechanisms of the semiotic approach as an effective method in studying linguistic and extra-linguistic sign. It was based on the problem of its text: what are the distinguishing signs and semantic features that characterize the duality of title and cover in the collection of these poems "Verily distress has seized me"? How much semantic harmony is there between these two thresholds in this collection? What effect does the title and cover of it "Verily distress has seized me" have on its recipients/readers?

Keywords: Semiotics; thresholds; title; cover; sign; Muhammad Mabsut.

1.مقدمة:

عكف النقاد زمنا طويلا على النص الأدبي دراسة وتحليلا وتنقيبا، بغية الوصول إلى سر الجمال والعملية الإبداعية، مستعينين بكل ما وصل إليه النقد قديما وحديثا من آليات تحليلية في شتى المناهج النقدية، وكما عني النقاد بالنص على اعتباره مكمن الجمال اللغوي والفكري، نجد من النقاد من تجاوز النص إلى المصاحب النصي أو النص الموازي، فذهبوا يحللون كل ما يحيط بالنص من غلاف وعنوان ومقدمة وإهداء وغيرها، وتعدّ عتبة الغلاف والعنوان من أهم المصاحبات النصية التي تبني منحى تداول العمل الأدبي، وتشق له الطريق نحو سلسلة قراءات تضمن حياته واستمراريته، وقد وجد النقد السيميائي ضالته في هذا الحقل الفني الذي كان وجوده اعتباطيا عبر حقب زمنية مختلفة قبل ظهور السيميائيات التي نقلتها من حيز الهامشي إلى المركزي في دراسات كثيرة، ونظرا لتلك المكانة التي حازها النص الموازي في الدرس النقدي المعاصر، ولجنا من خلال هذه الدراسة عوالم العتبات النصية من خلال اختيارنا لديوان:"قد مسّني الضر" "لمحمد مبسوط" كمدونة دراسة لما احتفت به عتبتي العنوان والغلاف في هذا الديوان من إغراء تركيبي يسيل لعاب أي قارئ يمر به هذا الديوان، وعليه دخلنا هذه المغامرة القرائية بغرض البحث في بناء هذه العلامات اللغوية ودلالاتها، ومعنا تساؤلات عديدة لعلّ أهمها: ما هي العلامات الفارقةوالسمات الدلالية التي تميز ثنائية العنوان والغلاف في ديوان "قد مسني الضر"؟ وما مدى التناغم

الدلالي بين هاتين العتبتين في الديوان؟ ما تأثير عنوان وغلاف ديوان "قد مسّني الضرّ" في متلقيه؟وإلى أيّ حد يعبران عن متن الديوان؟

وللإجابة على هذه الإشكالية رأينا تقسيم هذه الدراسة إلى مبحثين رئيسين وهما كالآتي:

1/ السميائية والعتبات المصطلح والمفهوم

2/ سيميائية العنوان والغلاف في ديوان "قد مسني الضر"

2.السيميائية والعتبات المصطلح والمفهوم:

يعد المصطلح من أهم مرتكزات العلم لما يكتسبه من أهمية في فتح مغالق العلوم، ولعل أبرز إشكال نظري يواجه الباحث هو إشكالية المصطلح، خاصة في ميدان النقد الأدبي المعاصر، ونظرا لتلك الأهمية البالغة التي يحتلها مصطلحي السيميائية والعتبات في مجال بحثنا رأينا أنه من الواجب ضبط هذين المصطلحين قبل التغلغل في لبّ هذه الدراسة.

1.2 السيميائية:

لقد تعرض مصطلح السيميائية لعدة مفاهيم مختلفة وذلك ربما لتعدد المصطلحات المشار بها لهذا العلم أو المنهج، مثل السيمياء والسيميائية، وعلم العلامةو الدلائلية والسميوطيقا، والسميولوجيا، وهذا بسبب تنقل العلم من إطار مكاني إلى إطار مكاني آخر ومن إطار فكري إلى إطار فكري آخر، ومن ناقد إلى آخر، إضافة إلى هجرة المصطلح التي كانت أحد أهم عوامل تعددية المصطلح والمفهوم، وعليه سنحاول من خلال هذا العنصر تحديد مفهوم السيميائية من خلال ما عرف به هذا المصطلح في الوسط النقدي واللغوي.

ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة - وسم- « الوَسْمُ أثر الكيّ والجمع وُسومٌ ... وقد وسمه وسما وسمة إذا أثّر فيه بكيّ .. وفي الحديث: أنّه كان يسم إبل الصدقة أي يعلّم عليها بالكيّ. واتسم الرجل إذا جعل لنفسه سمة يعرف بها.»[1]

وفي القاموس المحيط« الوسم: أثر الكيّ: ج:وسوم، وسمه يسمه وسما وسمة فاتسم. والوسام والسّمة، بكسرهما: ما وسم به الحيوان من ضروب الصّور »[2] يتضح من خلال المعنى اللغوي لمفردة وسم في لسان العرب والقاموس المحيط أنّ الوسم يقصد به التّعليم على الشيء حتى يكون له سمة أي علامة يعرف بها وتدلّ عله.

أما في الاصطلاح فقد وجد مصطلح السيميائية عدّة مفاهيم واصطلاحات كما أسلفنا، وهو ما يشير إليه فيصل الأحمر قائلا:« عرف هذا المصطلح أثناء محاولة نقله إلى

العربية فوضى كبيرة ناتجة عن عدم فهم ووعي جيد للمصطلح، وقد يكون ذلك بسبب محاولة تطويعه ليتماشى وسلاسة اللغة العربية، كما قد يرجع ذلك إلى تعصب كثير من الباحثين للتراث، فيحاولون إيجاد مقابل له في تراثنا العربي.»[3] وربما نشير هنا إلى هذه التعدّدية من خلال قول بسام موسى قطّوس:«السيميائية أو السيمائية أو السميولوجيا أو السيميوطيقا أو علم الإشارة أو علم العلامات أو علم الأدلة...، ترجمات وتعريفات تطول لعلم واحد بمصطلحين شائعين هما: (Semiology) من (Semion) اليونانية، حسب العالم اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير (F.De Saussure)أو (Semiotics) حسب العالم والفيلسوف الأمريكي شارل ساندرس بيرس (Ch.S.Perice).»[4]ومن هذه التعدّدية ننطلق في تعريف هذا المصطلح، حيث يعرفها الأب الأول فرديناند دي سوسير بقوله:« إنّ اللغة نسق من العلامات التي تعبر عن الأفكار، وإنّها لتقارن بهذا مع الكتابة وأبجدية الصم والبكم، ومع الشعائر الرمزية، ومع صيغ اللباقة، ومع العلامات العسكرية،...وإنّنا لنستطيع أن نتصور علما يدرس حياة العلامات في قلب الحياة الاجتماعية، وإنّه العلاماتية،...وإنّه سيعلمنا مما تتكون العلامات وأي قانون يحكمها.»[5]

نلاحظ من خلال هذا النص أن سوسير عرفها تعريفا عمليا أي بالاستناد إلى الممارسة حيث ارتكز مفهومه للسيميائية على ما يجب أن يمارسه االسيميائي على اللغة اللسانية أو غير اللسانية،« والسيميائيات عند كل الغربيين هي علم يدرس العلامات، وبهذا عرفها كل من "تودوروف" و"غريماس" و"جوليا كريستيفا و"جون دوبوا و"جوزيف راي دوبوف".»[6]

وقد عرفها صاحب معجم المصطلحات الأدبية "نواف نصار" بقوله:« سيميولوجيا - علم العلامات والرموز (Semiology)هو العلم الذي يدرس الإشارات والعلامات التي يستعملها الإنسان للاتصال،ويتضمن ذلك الإشارات والإيماءات والكلمات والشعارات والإعلانات والنقوش والموسيقى والإشارات الدخانية والملابس والطعام والمشروبات...الخ.»[7] وجاء عند سعيد علوش إن السيميائية هي« دراسة لكل مظاهر الثقافة كما لو كانت أنظمة للعلامة، اعتمادا افتراض مظاهر الثقافة، كأنظمة علامات في الواقع.»[8] وهذا المفهوم يشير إلى نقطة مهمة في الحقل السيميائي وهي قضية الشمولية التي تعبر عنها لفظة كل لذلك نجد السيميائية اقتحمت كل حقول المعرفة الإنسانية، وهو ما تبيّنه سيزا قاسم بقولها: «تفاعل الحقول المعرفية المختلفة، والتفاعل لا يتم إلا بالوصول إلى مستوى مشترك يمكن من خلاله أن ندرك مقومات هذه الحقول المعرفية، وهذا المستوى المشترك هو العامل

السيميوطيقي»[9] في حين يعرفها صلاح فضل قائلا: «هي العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الإشارات الدالة وكيفية هذه الدلالة»[10] ومنه يمكننا القول بأن مفاهيم النقاد العرب لم تختلف عن مفاهيم الغرب وإن تعدّدت المصطلحات المتداولة في الدرس النقدي العربي المعاصر، لنخلص إلى أن دراسة العلامات في أي حقل معرفي ذلك هو السيميائية بمعنى أن السيميائية ممارسة تتعرف حين بداية العمل على العلامة لذلك ارتبطت بها ولا يمكن تصور سيميائية دون وجود علامة.

2.2 مفهوم العتبات و أنواعها:

عرف مصطلح العتبات كغيره من مصطلحات النقد المعاصر عدّة تسميات بين الباحثين الغربيين والعرب، وذلك لذات العوامل المذكورة سلفا، وعليه سنعرض من خلال هذا العنصر إلى مفهومه وتداولاته قصد ضبط المصطلح وتحديد مفهومه باعتباره مصطلحا مركزا في هذه الدراسة التي نعرض لها انطلاقا من المفهوم اللغوي إلى المفهوم الاصطلاحي.

1.2.2- مفهوم العتبات :

لغة :ورد في لسان العرب في مادة – عتب- أن « العتبة:أسكفة الباب التي توطأ؛ وقيل: العتبة العليا والخشنة التي فوق الأعلى: الحاجب؛ والأسكفة السفلى؛ والعارضتان: العضدتان، والجمع عتب وعتبات. والعتب: الدّرج. وعتب عتبة: اتخذها »[11]وفي قاموس المحيط « العتبة أسكفة الباب، أو العليا منهما...والعتب أن تجمع الحجزة وتطويها من قدّام...وما عتبت بابه:لم أطأ عتبته»[12]والملاحظة أنه لا خلاف في المعنى اللغوي للفظ عتبة إذ يتضح من خلال ما نقلناه أن العتبة ما يوطأ بالقدم أو ما فوق الباب قبل دخول البيت.

أما اصطلاحاً:حين نتتبع مسيرة مصطلح العتبات من النقد القديم إلى المعاصر نجده قد اكتنف بشيء من الضبابية والغموض، وهذا ربما نعزوه إلى ترجمته وتداوله من جهة، وإلى مقابلته بالموروث النقدي العربي من جهة أخرى، يقول عبد الرزاق بلال في كتابة مدخل إلى عتبات النص: «خطاب المقدمات...عتبات النص....النصوص المصاحبة... المكملات... النصوص الموازية... سياجات النص... المناص...إلخ» أسماء عديدة لحقل معرفي واحد أخذ يسترعي اهتمام الباحثين والدارسين في غمرة الثورة النصية التي تعتبر إحدى أهم سمات تحولات الخطاب الأدبي.[13]

وفي هذا النقل إشارة واضحة إلى إشكالية تعدد المصطلح التي قد نعدها أحد الإشكالات النظرية، وقبل تحديد مفهوم المصطلح في الدراسات النقدية المعاصرة نعكف – في عجالة – على تداوله في تراثنا النقدي القديم، حيث يقول :يوسف الإدريسي – مشيرا إلى هذا الباب - :« تطابقت العديد من أحكام العرب قديما وتصوراتهم لأفانين الكتابة وطرائق صناعة المؤلفات وتقديمها للقراء مع جملة من المنطلقات النظرية التي قامت عليها أدبيات " عتبات النص " في اللغات الواصفة الحديثة »[14]

ومن هنا ننقل بعض الأقوال على سبيل المثال لا الحصر تعزز ما سبق قوله؛ إذ يقول ابن رشيق في العمدة: «حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطية النجاح، ولطافة الخروج إلى المديح، سبب ارتياح الممدوح، وخاتمة الكلام، أبقى في السمع وألصق بالتنفس»[15]

ويرى القيرواني للمتكلم التأنق في ثلاثة مواضع هي الاستهلال والتخلص والانتهاء لما لهذه المواضع من وقع في النفس والسمع.[16]من هذه الأمثلة وغيرها كثير يتضح اهتمام القدماء بهذه العتبات النصية وإن لم يتبلور المصطلح مثلما هو عليه في الدراسات المعاصرة، ثم جاء العصر الحديث مع الدراسات النقدية المعاصرة في النقد الغربي – من خلال جيرار جنيت وغيره بعد تجاوز شعرية النص إلى شعرية الكتابة ليطرح بين يدي النقاد هذا المصطلح الجديد القديم تحت مصطلح para texte)(المناص الذي ترجم عدة ترجمات سبق ذكرها.

« يقدم جنيت تعريفا مفصلا في كتابة " عتبات " للمناص، يجعله نمطا من أنماط المتعاليات النصية، والشعرية العامة، يتشكل من رابطة هي اقل ظهورا من المجموع الذي يشكل عمل أدبي ... فنادرا ما يظهره عدياً عن عتبات لفظية أو بصرية مثل اسم الكاتب، العنوان، العنوان الفرع، الإهداء الاستهلال، صفحة الغلاف ... »[17] في هذا الكلام تحديدا وا لماهية المناص أو العتبات، كما نجد نبيل منصر يعلق على مصطلح العتبات تحت مسمى النص المتوازي فيقول: « يشمل شبكة متن العناصر النصية والخارج النصية التي تصاحب النص وتحيط به، فتجعله قابلا لتداول»[18] حين نتأمل هذه المفاهيم وغيرها نلاحظ أنه لا خلاف بين متداولي مصطلح العتبات أن المقود بها ما يصحب الكتاب من غلاف وعنوا ومقدمة وخاتمة وغيرها وإنما كان الخلاف في تداول المصطلح وترجمته.

2.2.2 أنواع العتبات النصية:

لقد تم تقسيم العتبات النصية من قبل الدارسين والباحثين غلى قسمين على اعتبارين، أولهما باعتبار النسبة وهي إلى قسمين أيضا هما: عتبات المؤلف وعتبات الناشر وثانيهما باعتبار الموضع وهما قسمان أيضا: عتبات خارجية وعتبات داخلية،وقد تختلف هذه العتبات من مؤلف لآخر، كما قد يغيب بعضها ويحضر بعضها.وهو ما سنعمل على توضيحه في هذا العنصر من خلال الجدول الآتي:[19]

عتبات المؤلف	عتبات الناشر	العتبات الخارجية	العتبات الداخلية
اسم الكاتب (العنوان الرئيسي والعنوان الفرعي) العناوين الداخلية الاستهلال / المقدمة الإهداء الملاحظات الحواشي / الهوامش	الغلاف صفحة العنوان الجلادة كلمة الناشر	اسم الكاتب العنوان (الرئيسي والفرعي) المؤشر الجنسي كلمة الناشر الغلاف	العناوين الداخلية الإهداء المقدمة الخاتمة

.3.سيميائية العنوان والغلاف في ديوان" قد مسني الضر":

يعد كل من العنوان والغلاف من أهم عتبات النص لما لهما من تأثير في المتلقي جماليا ونفسيا، إذ هما بوابتا التلقي الأولى التي تواجه المتلقي فيحل لديه القبول والرضا أو الرفض والإعراض، لذلك وجدنا كثير من الدارسين والمؤلفين والناشرين يوليانهما عناية كبيرة خاصة في النتاج الأدبي المعاصر، ومنه سنعمل في هذا العنصر على تبيان وظائف كل من العنوان والغلاف استنادا إلى ما وصل إليه الدرس النقدي المعاصر في هذا المضمار.

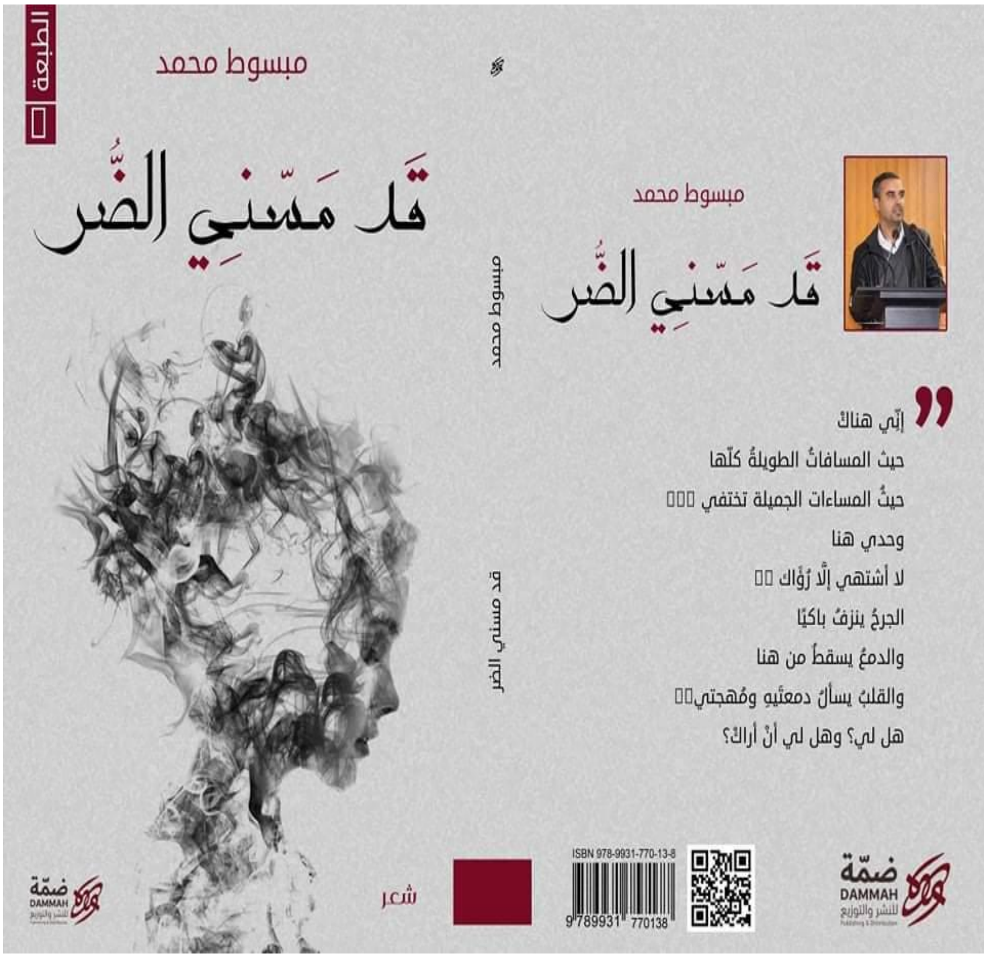

1.3 وظائف العنوان:

للعنوان عدة وظائف مهمة عدّدها النقاد وقبل الخوض في وظائف هذه العتبة نرى أنّه من الواجب التعريف بعتبة العنوان تعريفا وجيزا يكشف لنا اللثام عن كنهه وما له من أهمية، إذ « يعدّ العنوان نظاما سيميائيا ذا أبعاد دلالية، وأخرى رمزية، تغري الباحث بتتبع دلالاته، ومحاولة فك شفراته الرامزة، ومن هنا فقد أولى البحث السيميائي جلّ عنايته لدراسة العنوانات في النص الأدبي.»[20]، وقد عرف لوي هويك العنوان بقوله: هو« مجموعة من العلامات اللسانية، من كلمات وجمل، وحتى نصوص، قد تظهر على رأس النص لتدلّ عليه وتعينه، تشير لمحتواه الكلي، ولتجذب جمهوره المستهدف.»[21] في حين يعرفه دوشي بقوله:« العنوان كرسالة سننية في حالة تسويق، ينتج عن التقاء ملفوظ روائي بملفوظ إشهاري، وفيه أساسا تتقاطع الأدبية والاجتماعية، إنّه يتكلم/يحكي الأثر الأدبي في عبارات

الخطاب الاجتماعي ولكن الخطاب الروائي في عبارات روائية.»[22] هذه المفاهيم وغيرها نجدها تشترك في تركيزها على الجانب البنائي للعنوان والجانب التأثيري لأن العنوان كملفوظ إنما يضمن وجوده ويحقق ذاته وتداوله بمدى تأثيره في المتلقي المستهدف.

ومن هنا نأتي إلى تبيان أهم وظائف العنوان في ديوان "قد مسّني الضر".

1.1.3- الوظيفية التعينية:

يدخل العنوان مع المعنون له في علاقة تلازمية، بحيث يصير العنوان دليل مباشر إلى النص المقصود، و« المتعارف عليه أن العنوان (اسم/nom) للكتاب، به يعرف كما جرت عليه العادة في التسمية، فتسميه طفل ما تعني مباركته، فمتى سمي أعلن عن اسمه سيتم تسجيله به...كذلك أن تسمي كتاباً يعني أن تعينه..»[23] ولكن ينتبه جنيت غلى أن هناك عناوين مراوغة ولا تطابق نصوصها، [24] ومن هنا نأتي إلى العنوان الذي اختاره مبسوط لديوانه "قد مسني الضرّ"، فالناظر لهذا العنوان يلاحظ مباشرة ذلك التعالق بينه وبين النص الديني الأمر الذي يضع المتلقي أمام مغامرة تأويلية محاولة منه للوصول إلى طبيعة المعنون له، هل يمكن أن يكون الديوان إعادة للقصص القرآني؟ ومن المقصود بالضر هل الشاعر ذاته؟ هل يمكن أن يكون العنوان هو تصريح على لسان الآخر الخفي؟ كل هذه التساؤلات وغيرها تجلنا نلاحظ أن العنوان بقدر ما يعيّن صاحبه في الفضاء التداولي بقدر ما يمارس لعبته التأويلية على المتلقي.

وحين نلج النص ونلاحظ تلك العناوين الفرعية لقصائد الديوان مثل: غربة/ يتم/ يتامى/ وجع/أحزان/ لا تعبثي بمشاعري/ وطن يمكننا القول: إن المتلقي الذي بنى أفقه على الضرّ الذي صادفه في اللقاء الأول قد صار أضرارا وأنه فسيفساء من الأوجاع، ومنه فإن عنوان مبسوط لم يحد كثيرا عن المعنون له بل قرّبه كثيرا إلى المتلقي.

2.1.3 الوظيفة الوصفية:

دار جدل كبير حول هذه الوظيفة المعقدة بين جملة من النقاد، وعليه سوف نركز مباشرة على ما أورده عبد الحق بالعابد الذي يقول: « هي الوظيفة التي يقول العنوان عن طريقها شيئا عن النص»[25] والذي نفهم منه أن وصفية العنوان هي التي تقدم مختصر وصفي عن النص، مما يجعلنا نلاحظ ارتباطها بالوظيفة السابقة والذي يجعلنا ربما نطرح تساؤلاً هل يقدم هذا العنوان "قد مسني الضرّ " وصفا للنص؟، وهذا ما قد كنا أشرنا إليه

في الوظيفة السابقة فهذا العنوان قد كان واصفا إلى حد بعيد لنصه ويتضح ذلك أكثر من خلال ذلك التكامل الصارخ بين العنوان الرئيس والعناوين الفرعية المذكورة سابقا.

3.1.3 الوظيفة الإغر ائية:

لا جدل في سلطة العنوان الإغرائية التي يمارسها على المتلقي في أوّل صدام بينهما، وقد قيل:«العنوان الجيّد هو أحسن سمسار للكتاب»[26] وهذا يعود لحسن الاختيار وحسن قراءة الجمهور المستهدف، وعليه نجد محمد مبسوط في اختياره لعنوان "قد مسّني الضر" كتسمية لديوانه قد ربح الرهان للوهلة الأولى، وذلك لما يحمله العنوان من علاقات دلالية تربطه بالمقدّس لدى الجمهور المستقبل لأنّ فيه إشارة إلى النص الديني، هذا من جهة ثم إنه استهدف من خلاله كل من كان يعيش الحالة النفسية والاجتماعية التي يشير إليها نص العنوان، وبهذا يمارس العنوان في هذا الديوان سلطته الإغرائية متسلحا بالتراث والتلميح النفسي والاجتماعي، الأمر الذي يجعله يسلب لب المتلقي مع أول لقاء بينهما، ومنه فهذه الوظيفة هي التي تحقق المنحى التداولي للعنوان وهو ما نوضحه من خلال الخطاطة الآتية:

المرسل ———◄ الرسالة ◄——— المرسل إليه

القصدية   الإغراء   التأويل/التقبل

محمد مبسوط ———◄ قد مسني الضرّ ———◄ المتلقي

من خلال هذه العلاقة يغدو نص العنوان نقطة لقاء بين المبدع والمتلقي يستقل من خلالها العنوان عن مبدعه مع بداية عملية التأويل والتداول.

2.3 سيميائية العنوان:

كما سبقت الإشارة يعد العنوان شحنة دلالية، ونواة تكثيف دلالي تضع المتلقي أمام مغامرة تجمع بين المتعة والمراوغة اللغوية لذلك فإنّ « سيميائية العنوان تنبع من كونه أعلى اقتصاد لغوي ممكن ليفرض أعلى فعالية تلق ممكنة، ممّا يدفع إلى استثمار منجزات التأويل كما يشكل العنوان أوّل اتصال نوعي بين المرسل والمتلقي.»[27] ولكن هذا الاتصال -فيما نرى- هو اتصال قصير العمر، إذ يقطع مع بداية التأويل والعمل على إنتاج الدلالة ليستقل المتلقي بقراءته عن المرسل بل إنه يعيد إنتاجية الدلالة «فالعنوان بما هو إشارة سيميائية تأسيسية، قد يدفعك إلى أن تعيد قراءة شيء مألوف لديك بل هو جزء من ثقافتك، ولكنه يغريك بإعادة قراءته لأنّه يفجر فيك طاقات جديدة، وكأنّه مع العنوان يبدأ

فعل القراءة، ومن ثم فعل التأويل.»[28] ذلك أن « النص لا يمكن له أن يصبح مرئيا وقابلا للإدراك إلا إذا تم الكشف عن النسق المولد له، فلا وجود لدلالة شكل كلي وتام ونهائي قبل تدخل الذات القارئة التي تقوم بإعادة بناء القصديات الضمنية المتحكمة في العلاقات الغير مرئية.»[29] ومن هنا نأتي إلى تحليل عنوان "محمد مبسوط": **قد مسني الضر**.

جاء عنوان الديوان جملة فعلية خبرية انبنت على حرفين وفعل واسمين وهو ما نوضحه من خلال الجدول الآتي:

قد	مسّ	ن	ي	الضرّ
حرف	فعل	حرف	ضمير	اسم
حرف تحقيق دالعلى التوكيد	فعل ماض دال على وقوع الحدث	نون الوقاية تقي الفعل من الوقوع في الجر	ياء النفس دلت على من وقع عليه الفعل (المتحدث)	فاعل

إنّ هذا التركيب اللغوي الخطابي لنص العنوان الذي يحمل خبرا للمتلقي من خلال بنيته السطحية المجسدة في الجدول يحمل في عمقه دلالات عديدة تضع المتلقي أمام أسئلة محورية: من يقصد المبدع بضمير المتكلم الذي وقع عليه الفعل، وما هو الضرّ الذي مسه؟ وما أسباب هذا الضر؟، ومن هنا تبدأ لعبة التأويل فقد يؤول متلق الضمير بذات الشاعر والضرّ بقصة حب فاشلة، وقد يؤوله بداء أصابه، وقد يؤوله بمصائب قضت مضجعه، وكلها تأويلات يحتملها العنوان، وممّا زاد العمق الدلالي حرف التوكيد الذي دلّ على حقيقة تحقق الفعل كما دلّ على عمق الضرّ الواقع على الذات الشاعرة، لإضافة إلى خبرية العنوان فقد جاء العنوان جملة خبرية طلبية توحي بالشكوى، كما توحي بإنزال المتلقي منزلة الشاك في حقيقة الخبر الذي يحمله العنوان، وهذه الحالة التي يفرضها العنوان على المتلقي هي التي تحقق حياة النص العنواني وسمته الجمالية، ثم يأتي التناص العنوان سمة أخرى تنقل المتلقي من نص الديوان إلى النص الأصل الذي يستمد منه العنوان إشعاعه، حيث إن النص العنواني يستدعي النص القرآني، وهو قول الله جلّ وعلا:« **وَ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**»[الأنبياء، الآية83] وهنا يرمز العنوان لقصة أيوب عليه السلام الذي فقد أهله وماله وأصابه المرض دون أن يشتكي حتى بلغ الوضع أشده، ليكون رمزا للصبر، إذ أخذت رمزية الصبر التي جدستها شخصية أيوب -عليه السلام- بعدا تداوليا

حفر عميقا في الذاكرة القرائية للمتلقي العربي، وبهذا الاستحضار والتعالق يقود العنوان متلقيه إلى تكييف الحالة وبناء أفق أولي للنص الكلي يصدقه النص أو يكذبه.

ومنه نجسد المربع السيميائي للعنوان كالآتي:

3.3سيميائية الغلاف:

الغلاف كعتبة نصية تحمل عدة مناصات تشكل وجودها، ذلك أنه لا يكتسب أهميته إلا من خلال ما يحمله من عناصر مناصية كما يسمها "جيرار جنيت" وغيره من نقاد العرب والغرب، حيث إن« الغلاف الخارجي للعمل الأدبي والفني واجهتين: أمامية وخلفية، فتحصر في الغلاف الأمامي اسم المبدع، والعنوان الخارجي، والتعيين الجنسي، والعنوان الفرعي، وحيثيات النشر، والرسوم والصور التشكيلية، أما فيما يخص الغلاف الخلفي، فتلقي الصورة الفوتوغرافية للمبدع، وحيثيات الطبع والنشر، وثمن المطبوع، ومقاطع من النص للاستشهاد، أو شهادات إبداعية أو نقدية، أو كلمات للناشر.»[30] وقد قسم جيرار جنيت الغلاف إلى أربعة أقسام نختصرها- بحسب مدونتنا- في ثلاثة أقسام هي: الصفحة الأمامية والخلفية وظهر الغلاف[31]، وقد انطوت هذه المواضع في ديوان "قد مسني الضر" على جملة من العناصر المناصية التي يمكننا تصنيفها في الجدول الآتي:

الصفحة الأمامية	الصفحة الخلفية	ظهر الغلاف
اسم المؤلف عنوان الكتاب المؤشر الجنسي رمز الناشر	اسم المؤلف صورة الؤلف عنوان الكتاب مقتطف من الكتاب رمز الناشر	اسم المؤلف عنوان الكتاب

بالنظر إلى هذه المناصات نلاحظ أن اسم المؤلف "محمد مبسوط" قد تكرّر في ثلاث مواضع من الغلاف، والذي يحقّق وظيفة الملكية، التي تشترك معه فيها صورة المؤلف إضافة

إلى وظيفتها الإشهارية أو الترويجية للمؤلف ذاته، كما تكرّر العنوان أيضا ثلاث مرات مؤكدا على الوظائف السابقة التي ذكرناها آنفا، ويشترك معه المؤشر الجنسي في الوظيفة التعيينية إذ هو الذي يبين جنس النص، ويميزه عن غيره من الأجناس الأدبية، أيضا نجد المقتطف النصي يشترك مع العنوان في الوظيفة الوصفية فهو بمثابة عربون تعارف بين المتلقي والنص، أما بالنسبة لرمز الناشر فوظيفته إشهارية بحتة، ومن خلال هذه الوظائف المجزأة تجتمع وظيفة الغلاف.

إن غلاف العمل الأدبي لم يعد حاوية تجمع النص بين طيّاتها فحسب، بل صار وجودا دلاليا خطابيا يحمل عدّة رسائل للمتلقي، إنّه بمثابة الترجمان البصري للنص الذي بين جنبيه، بما يحمل من أيقونات تنتظر من المتلقي فك شفراتها وإنتاج دلالاتها.

وقد جاءت بنية غلاف ديوان: "قد مسني الضر" مكونة من اسم المؤلف والمؤشر الجنسي وغيرها من العناصر التي كنّا قد بيّنا سابقا، وسنعمل من خلال هذا العنصر على دراسة اللون والصورة في هذا الديوان،إذ « احتلت الألوان منزلة مميزة منذ القديم، فكانت الأساس لكلّ الأعمال الفنية التي تصور حياة الإنسان في مختلف ميادينها، عبر بواسطتها عن انفعالاته وقيمه، فأكسبها دلالات معينة، وجعلها رموزا متنوعة تنوّع آلامه وآماله:الحياة والموت، الأمل والخيبة، الحزن والفرح...»[32]، وقد انبنى الغلاف على ثلاثة ألوان هي الأحمر والأسود والرمادي حيث كتب اسم المؤلف:"محمد مبسوط" مرتين باللون الأحمر في صفحة الغلاف الأولى وفي الصفحة الخلفية للغلاف وكتب مرة باللون الأسود على ظهر الغلاف كذلك المؤشر الجنسي في صفحة الغلاف الأولى كتب باللون الأحمر أما العنوان جاء مزيجا بين الأحمر والأسود، وكلا اللونين له دلالات عميقة تتعلق دلاليا بالعنوان "قد مسني الضرّ" فاللون الأحمر هو لون له تاريخ في كل الحضارات، ومن دلالاته الحب والعاطفة والثورة والنار والغضب والانتقام، وهي دلالات مختلفة يوحي بها السياق الذي ورد فيه اللون، ومنه إذا أردنا ربط اللون الأحمر على غلاف الديوان بالعنوان الرئيسي والعناوين الفرعية سنجده دالا على الجرح العميق الذي يحسه صاحب الديوان، فالعناوين الداخلية للقصائد مثل: **وجع/ يتامى/ يتم/ أميمة/ بريئ من دم يوسف/ أحزان/ لا تعبثي بمشاعري**، كلها عناوين تتحد مع العنوان الرئيس: **"قد مسّني الضرّ"** في التعبير عن عمق الجرح الذي يحسه الشاعر بسبب المواقف الحياتية التي مرّ بها، وهو ما ينبي عن دلالة اللون الأحمر الذي طرّز الغلاف ليقول لنا هذا اللون إنّ الجرح عميق جدا وآثاره بالغة في نفس صاحبه، أما اللون

الأسود فقد جاء دليلا على الحزن والحداد والحزن في الديوان تعدّدت أسبابه بحسب ما جاء في متن الديوان وما يوحي به العنوان، إذ كان فقدان الأهل وضياع الحب وصورة الوطن الجرح الذي يلسع كبد الشاعر وسبب حزنه وألمه، في حين كان اللون الرمادي لونا عابرا يوحي بتقلبات الحياة بين الحزن والفرح، حيث إن الرمادي هو مزيج بين الأبيض والأسود وكأنه يخبرنا بأن الحياة لا تدوم على حال.

وكما شكل اللون ظاهرة دلالية في غلاف الديوان فقد كان للصورة أيضا حضورها اللافت، ولا يخفى على أحد مدى تأثير الصورة في الخطاب الأدبي المعاصر بعد تطور الدراسات السيميائية، حيث « تحمل هذه الصورة رسالتين الأولى تقريرية، والثانية تضمينية ومستمدة من الأولى»[33] ويبقى دور المتلقي هو فك شفرات الصورة واستنطاق مضامينها، وهذا ما يشير إليه رولان بارث الذي يرى أنها:« تتشكل من عناصر منتقاة، ومعالجة وفق المطلبين: المهني والجمالي، والإيديولوجي اللذين يعطيان بعدا تضمينيا. توجه إلى المتلقي الذي يكتفي بتسلمها فقط، بل يعيد قراءتها على ضوء ما يملك من زاد ثقافي رمزي.»[34]

بعد هذه الإشارة الوجيزة لمدى حضور الصورة الدلالي والثقافي نأتي إلى مدونتنا والصورة التي تضمنتها، إذ جاء في الصفحة الأولى من الغلاف صورة لامرأة لكنها صورة مشوهة ضبابية تشبه الدخان، وهذه الصورة توحي بدلالات مختلفة من خلال ما تمارسه من سلطة تأويلية على المتلقي، فرؤية الصورة توجه المتلقي إلى أن الديوان سيكون للمرأة فيه حضور قوي سواء كحبيبة أو غير ذلك، فطالما أخذت المرأة حيزا كبيرا في تاريخ الشعرية العربية قديما وحديثا، ولكن هذا الأفق لا يدوم طويلا؛ ذلك أن قصائد الديوان جاءت متنوعة المضمون، ومنه يمكننا تأويل الصورة الضبابية للمرأة التي تصدرت صفحة الغلاف الأولى بصورة الحياة التي لا يفقه الإنسان تقلباتها وصورة المستقبل المبهم الذي لا يتضح إلا حين يصير ماضيا، كما توحي بالأمل الذي لم يعدمه صاحب الديوان فحالة التبخر أو الدخان الذي يوشك على محور الصورة إنما هو إيحاء بتبخر الأحزان وتلاشيها كتلاشي الدخان الذي تظهره الصورة، وتبقى الصورة مفتوحة على قراءات متعدّدة تضمن حياتها الفنية والجمالية.

4.خاتمة:

من خلال دراستنا لتعتبتي العنوان والغلاف في ديوان الشاعر "محمد مبسوط": **قد مسّني الضرّ**، وما حاولنا الوقوف عليه من سمات جمالية، جعلتنا نحس بمتعة الرحلة وأثر المحطات القرائية، خلصنا إلى جملة من النتائج نلخصها فيما يلي:

- لقد احتفت كل من عتبة العنوان والغلاف بسمات فنية وجمالية تجعل المتلقي يستمتع بفعل القراءة لما فيها من حسن الاختيار وجمال التركيب.

- لقد زاد التناص الذي لبسه العنوان من قيمته الفنية والتداولية، حيث إن هذا الاستحضار إضافة إلى مسحته الجمالية أكسب الديوان هويته الثقافية.

- الغلاف رغم بساطة تركيبه لم يخل من الأثر الجمالي وإشعال فتيل الفضول القرائي لدى المتلقي.

- هناك تناغم دلالي عميق بين نص العنوان والغلاف والمتن جعل الديوان يبتعد عن دائر الغموض والغرابة التي تصبح محبّبة في بعض المواضع، لما تضفيه على العمل من متعة التأويل، ذلك أن النص المتميز هو النص الذي لا يسلمك نفسه بسهولة.

- لم يعد الاعتباط علاقة قائمة بين العتبة والمتن، كما أنه صار للعتبة كيانها الجمالي المستقل الذي يفرض سلطتها وهيمنها على الأعمال الأدبية.

وأخيرا نقول إن هذه القراءة ما هي إلا واحدة من تفعيلات النص الذي يبقى محل تأويل وقراءات مختلفة تطيل عمره الفني والجمالي.

مراجع البحث وإحالاته:

1 ابن منظور: لسان العرب، ج14، داراحياء التراث، بيروت،لبنان، ط3، 1999،ص 301-302.

2 الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تح:مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،مؤسسة الرسالة،بيروت، لبنان، ط8ص1166-1167.

3 فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص14.

4 بسام موسى قطّوس: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، ط1، 2001، ص12.

5 فيصل الأحمر: المرجع السابق، ص16-17.

6 المرجع السابق: ص 17.

7 نواف نصار: معجم المصطلحات الأدبية، دار المعتز، عمان، ط1، 2009، ص164.

8 سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985، ص118.

9 فيصل الأحمر: المرجع السابق، ص18.

10 المرجع نفسه: ص ن.

11 ابن منظور:لسان العرب، ج9،ص28.

12 الفيروزآبادي:المصدر السابق، ص 111-112.

13عبد الرزاق بلال:مدخل إلى عتبات النص ، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم ، افريقيا الشرق، الدار البيضاء ، المغرب ،ط1، 2000، ص21.

14 يوسف الإدريسي:عتبات النص في التراث العربي. والخطاب النقدي المعاصر، الدار العربية للعلوم، بيروت، للبنان، ط1، 2015، ص27.

15 أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1،تح:محم محي الدين عب الحميد، دار الجيل، لبنان،ط5، 1981، ص218.

16 جلال الدين محمد الخطيب القزويني:الإيضاح في علوم البلاغة، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص322-326.

17عبد الحق بلعابد: عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1، 2008، ص43-44.

18 نبيل منصر:الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007، ص21.

19 ينظر:عبد الحق العابد:المرجع السابق، ص46-48-63..

20 بسام قطوس: المرجع السابق، ص33.

21 عبد الحق بلعابد: المرجع السابق، ص 67.

22 المرجع نفسه: ص 67-68.

23 المرجع نفسه، ص78.

24ينظر؛ المرجع نفسه، ص79.

25 عبد الحق بالعابد:المرجع السابق، ص87.

26 المرجع نفسه: ص85.

27 بسام قطوس: المرجع السابق، ص36.

28 المرجع السابق: ص36.

29 أمال محمد علي أبو شويرب: سيميائية العنوان والغلاف في رواية إبراهيم الكوني،المجلة الجامعية، ع21، م 5، 2019، ص178.

30 نهاد مسعي: عتبات الغلاف في رواية ميّ ليالي ايزيس كوبيا ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية "لوسيني الأعرج"، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، ع1، م 15، 2021، ص 439.

31ينظر: عبد الحق بلعابد، المرجع السابق، ص 47-48.

32 كلود عبيد: الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالتها)، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2013، ص10.

33 قدور عبد الله ثاني: سيميائية الصورة (مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم)، دار الغرب، وهران، د ط، دت، ص21.

34 المرجع نفسه: ص25.

قائمة مراجع البحث:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم
- ابن منظور:لسان العرب،ج9،داراحياء التراث، بيروت،لبنان، ط3، 1999.
- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ج1،تح:محم محي الدين عب الحميد، دار الجيل، لبنان،ط5، 1981.
- العنوان والغلاف في رواية إبراهيم الكوني،المجلة الجامعية، ع21، م 5، 2019.
- الفيروزآبادي:القاموس المحيط،تح:مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،مؤسسة الرسالة،بيروت، لبنان، ط8، 2005.
- بسام موسى قطّوس: سيمياء العنوان، ط1، وزارة الثقافة، عمان، 2001.
- جلال الدين محمد الخطيب القزويني:الإيضاح في علوم البلاغة، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985.
- عبد الحق بلعابد: عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)،منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1، 2008.
- عبد الرزاق بلال:مدخل إلى عتبات النص ، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم ، افريقيا الشرق، الدار البيضاء ، المغرب ، 2000.
- فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ط1، الاختلاف، الجزائر، 2010.
- قدور عبد الله ثاني: سيميائية الصورة (مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم)، دار الغرب، وهران،د ط، د ت.
- كلود عبيد: الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالتها)، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2013.

- نبيل منصر:الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007.

- نهاد مسعي: عتبات الغلاف في رواية ميّ ليالي ايزيس كوبيا ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية "لوسيني الأعرج"، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، ع1، م 15، 2021.

- نواف نصار: معجم المصطلحات الأدبية، ط1، دار المعتز، عمان، 2009.

- يوسف الإدريسي:عتبات النص في التراث العربي. والخطاب النقدي المعاصر، الدار العربية للعلوم، بيروت، للبنان، ط1، 2015.